تقنيات السرد الـرِّحَلِي

عند عبد العزيز المسلم

مدائن الريح: رحلات في العالم أنموذجا

إعداد

د. لطيفة الحمادي

أستاذ مشارك، جامعة الوصل، بدبي

للعام الجامعي

١٤٤٦/٢٠٢٤م

تقنيات السرد الـرِّحَلِي عند عبد العزيز المسلم

مدائن الريح: رحلات في العالم أنموذجا

د.لطيفة الحمادي

قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الوصل، دبي، الإمارت، **أستاذ مشارك، جامعة الوصل، بدبي** الإمارت العربية المتحدة.

البريد الإلكتروني: Bin_knean84@hotmail.com

ملخص البحث

يعد عبد العزيز المسلم واحداً من الأدباء الإماراتيين المهتمين بالسفر والرحلات؛ تنقل في دول مختلفة لأغراض متنوعة؛ ثقافية وسياحية وعلمية، وأسهم في نقل الصور الجميلة والمشاهد المتميّزة لكثير من البلدان وطبيعتها الجغرافية وظروفها المعيشية، وسلّط الضوء على تاريخ البلدان، وأفكار سكانها، وعاداتهم وتقاليدهم.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تقنيات السرد في رحلات عبد العزيز المسلم التي ضمنها في كتابه الموسوم بـ: (مدائن الريح: رحلات في العالم)، منطلقا من عدة إشكاليات أبرزها: ما التقنيات السردية التي تحتويها مدونة (مدائن الريح: رحلات في العالم) لعبد العزيز المسلم؟ وما أهم عناصرها؟ وكيف وظف الكاتب عناصر السرد في نصه الرحلي؟

ولتحقيق هدف الدراسة، والإجابة عن إشكالياتها استعنت بالمنهج البنيوي؛ كونه يرتكز على تحليل وحدات النص وبناه المتنوعة من حيث: (الراوي/السارد ومخاطباته المتنوعة، المدة الزمنية للرحلات"حركة السرد"، سرد المكان، العجائبي والغرائبي)، وبالتالي نستطيع من خلال هذا المنهج معرفة طبيعة شبكة العلاقات المتداخلة في هذه البنى الداخلية.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى محاور أساسية هي: مدخل حول مفهوم أدب الرحلة وخصائصه، والحديث عن الكاتب ورحلته، ثم الوقوف على الذات المركزية لنص الرحلة: وهي طريقة عرض الكاتب لمشاهداته في رحلاته من خلال: (الراوي- المُبَئِّرُ) و(الراوي – الشخصية). وتناولنا أنواع مخاطبات السارد من حيث الوظيفة: (تعليمية، اتصالية، وإيديولوجية). إضافة إلى سرد الزمان من خلال حركات السرد الواردة في النص: (الخلاصة، الحذف، والوقفة الوصفية)، وتناولت الدراسة سرد المكان الذي شكل مساحة بارزة في رحلة الكاتب، وأخيرا الغرائبي والعجائبي، وهي عناصر أضافت التشويق والدهشة في النص الرحلي.

وفي آخر المطاف، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها: أن النص الرحلي للكاتب يتميز باعتماده على التسجيل الوصفي والحكائي، وينقل الكثير من المعلومات، وتتوالى في وصفه تقنيات السرد المتنوعة مثل: (الراوي/السارد، الزمان، المكان، والغرائبي والعجائبي).

الكلمات المفتاحية:

[أدب إماراتي، سرد رحلي، الرحلة، عبد العزيز المسلم، مدائن الريح].

Travel narrative techniques according to Abdul Aziz (Cities of the Wind: Journeys in the World Al-Muslim as an Example)

DR: Latifa Al Hammadi
Department of Arabic Language and Literature, Al Wasl University, Dubai, UAE
E mail: Bin_knean84@hotmail.com

Abstract:

Abdul Aziz Al-Muslim is one of the Emirati writers interested in travel and journeys; he traveled to different countries for various purposes; cultural, touristic and scientific, and contributed to conveying beautiful images of many countries, their geographical nature, and living conditions, and shed light on the history of .countries, customs and traditions

This research aims to reveal the narrative techniques in the writer's journeys that he included in his book entitled: (Cities of the Wind: Journeys in the World), starting from several problems, the most prominent of which are: What are the narrative techniques that Abdul Aziz Al-Muslim's journeys contain? And how did the writer ؟employ narrative elements in his travel text

I relied on the structural approach in the study; as it is based on analyzing the text units and its various structures, and thus we can, through this approach, know the nature of the network of .interconnected relationships in the text

I divided the research into main axes: an introduction to the concept of travel literature and its characteristics, talking about the writer and his journey, then standing on the central self of the travel text, and we discussed the types of narrator's addresses in terms of

function: (educational, communicative, and ideological). In addition to the narration of time, place, and the strange and the miraculous in the travel text.

The study reached results, the most important of which are: The writer's travel text is characterized by its reliance on descriptive and narrative recording, and conveys a lot of information, and various narrative techniques follow in its description, such as: (narrator/narrator, time, place, and the strange and miraculous)

Keywords: Emirati literature, Travel narrative, Journey, Abdul Aziz Al-Muslim, Cities of the Wind

المقدمة

يعد أدب الرحلة نوعا أدبيا له مميزاته، غير أنه لم ينل نصيبا وافرا من الدراسة والبحث مقارنة بالأنواع الأدبية الأخرى، إضافة إلى أن الدراسات التي تتناوله تميل –غالبا– إلى المعالجة التاريخية أو الجغرافية؛ لما يحمله هذا الأدب من أخبار المجتمعات، والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعادات والتقاليد ... إلخ. كما أنه زاخر بالتراث الأدبي، ويعد مادة غنية للدراسات الأدبية واللغوية والنقدية.

ولعل من أبرز أسباب اختياري هذا الموضوع هو أن النص الرِّحَلي يحمل العديد من الجماليات على مستويات عدة: لغوية، وأسلوبية، وسردية ... مما يجعله موضوعا ثريا للدرس والقراءة في ضوء المناهج الحديثة.

وقد لاحظت في الآونة الأخيرة إقبال مجموعة من أدباء الإمارات وكتابها على هذا النوع الأدبي، أمثال: محمد المر، وعبد العزيز المسلم، ومحمد أحمد السويدي، ومحمد المرزوقي، وطلال الصابري، وعائشة سلطان... إلخ، يدونون فيه ملاحظاتهم أثناء زياراتهم لدول العالم المختلفة، ويقفون على المواقع السياحية والأثرية، والعروض الفنية، ويتأملون تفاصيل حياة المجتمعات؛ مما يثير مخيلة الأديب للإبداع، فيسجل أثر الرحلات في نفسه، وما اكتسبه من ثقافة وأفكار، ولا ننسى فتنة المتعة والإثارة؛ فأدب الرحلة عبارة عن رحلة فكرية وأدبية في فضاء مليء بالمتعة والتشويق، تلتقطه عدسة الكاتب.

وقد اخترت كتاب (مدائن الريح: رحلات في العالم) للكاتب الإماراتي (عبد العزيز المسلم)، وهو كتاب ينتمي إلى أدب الرحلات، ضمنه الكاتب مشاهداته وانطباعاته التسجيلية لمدن عديدة في العالم، مقتنصا المشاهد واللحظات التي ربما لا يقف عندها كثيرون، موظفا أسلوبا سرديا في وصف الأحداث والأماكن وتفاصيل الرحلة، ومن هنا جاءت الدراسة بعنوان: "تقنيات السرد الرِّحَلِي عند عبد العزيز المسلم (مدائن الريح: رحلات في العالم أنموذجا)".

وتتغيا الدراسة أن تطرح حلولا لإشكاليات عدة يثيرها هذا النموذج الأدبي الإماراتي، أهمها:

– ما التقنيات السردية التي تحتويها مدونة (مدائن الريح: رحلات في العالم) لعبد العزيز المسلم؟ وما أهم عناصرها؟

– كيف وظف الكاتب عناصر السرد في النص الرحلي (مدائن الريح: رحلات في العالم)؟

وللإجابة عن الأسئلة ارتأيت الاستعانة بالمنهج البنيوي؛ حيث وجدته قادرا على فك مجاهيل الرحلة السردية، والكشف عن مكونات السرد الرحلي، وتحليلها؛ بسبب كونه يرتكز على تحليل وحدات النص وبناه المتنوعة من حيث: (الراوي/السارد ومخاطباته المتنوعة، المدة الزمنية للرحلات"حركة السرد"، سرد المكان، العجائبي والغرائبي)، وبالتالي نستطيع من خلال هذا المنهج معرفة طبيعة الشبكة المتداخلة والمتراتبة والمنظمة في هذه البنى الداخلية.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى المحاور الآتية:

– **مدخل: يتضمن الحديث عن مفهوم أدب الرحلة** وخصائصه.

– **حول الكاتب ورحلته:** وهو عنوان يتضمن نبذة مختصرة عن الكاتب عبد العزيز المسلم، ومضمون رحلاته في كتابه (مدائن الريح: رحلات في العالم).

– **الذات المركزية لنص الرحلة:** ويتناول طريقة عرض الكاتب لمشاهداته في رحلاته من خلال : (الراوي– المُبَئِّرُ) و (الراوي – الشخصية).

– **أنواع مخاطبات السارد من حيث الوظيفة:** وانقسمت إلى ثلاث وظائف: تعليمية، اتصالية، و إيديولوجية.

– **سرد الزمان:** تضمن أبرز حركات السرد الواردة في النص الرحلي، وهي: (الخلاصة، الحذف، والوقفة الوصفية).

– **سرد المكان:** الذي شكل مساحة كبيرة من الرحلة، ابتداء من العنوان، وارتكز عليه تصنيف الرحلات.

– **الغرائبي والعجائبي:** وهي عناصر جاءت ضمن السرد، وأكسبت النص غرابة ودهشة وتشويقا.

– **وأخيرا خاتمة:** تتضمن أهم نتائج الدراسة.

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة، فإنني بعد البحث والاستقصاء، لم أعثر على أبحاث جامعية أو مقالات علمية تتطرق إلى تقنيات السرد في رحلات عبد العزيز المسلم، لكنني استفدت من بعض الأبحاث التي تتناول هذا الجانب عند كتاب آخرين، نذكر على سبيل المثال:

– **تقنيات السرد في الرحلة الورتلانية** (أطروحة دكتوراه)– عيسى طهاري– جامعة باتنة١، الجزائر– ٢٠١٩م/٢٠٢٠م.

– **تقنيات السرد في رحلة ابن جبير** (رسالة ماجستير) – شيريت قطيط، وفاطمة بن سعدية – جامعة البويرة، الجزائر– ٢٠١٩م/ ٢٠٢٠م.

مدخل: أدب الرحلة: مفهومه وخصائصه:

يُعد أدب الرحلة من أقدم الأنواع الأدبية، التي ازدهرت مع مرور الزمن، وتطورت بتطور الثقافات والحضارات؛ فالرحلة متصلة بتاريخ الإنسان منذ العصور القديمة، وهذا الأدب في بداياته لم يظهر تحت مسمى أدب الرحلات، وإنما كان يظهر أحياناً تحت خانة كتب التاريخ أو الجغرافيا أو السيرة الذاتية أو كتب الاعتراف، فهذه التسمية «أدب الرحلات» تسمية حديثة، أفرزتها الدراسات والمصطلحات الحديثة في هذا العصر.

جاء في مقاييس اللغة مادة (ر ح ل): "الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر ..."[١]، والرحلة مشتقة من الارتحال، وهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر؛ لتحقيق هدف معين، مادياً كان ذلك الهدف أو معنوياً.

ويقول صاحب لسان العرب عن الرحلة: "الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال... يُقال رحل الرجل إذا سار"[٢].

ويطلق لفظ الرّحلة بضم الراء أو كسرها؛ إذ ورد في القاموس المحيط: "الرُحلة بالضم تعني الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، فيُقال أنتم رُحلتي أي الذين أرتحل إليهم، أو أنه لذو رُحلة إلى الملوك... كما تطلق الرُحلة أيضاً على السفرة الواحدة"[٣].

أما الرِحلة بكسر الراء تعني الارتحال للمسير[٤]، فيُقال دَنَتْ رِحلتنا، ومنه قوله تعالى: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[٥].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة– تحقيق: عبد السلام هارون– ج٢– ط١– دار الجيل، بيروت–١٤١١هـ –١٩٩١م– ص٤٩٨.

(٢) ابن منظور– لسان العرب– مادة (ر ح ل)– المحققون: عبد الله علي الكبير وآخرون– دار المعارف، القاهرة – ص ١٦٠٨.

(٣) الفيروز آبادي– القاموس المحيط –ج٢– دار الجيل– ص٣٩٤.

(٤) المرجع السابق– ص٣٩٤.

(٥) سورة قريش: الآية (٢).

ومن خلال المعاني اللغوية السابقة يتضح لنا أن مفهوم الرحلة جاء بمعانٍ كثيرة منها السير والضرب في الأرض، والارتحال أي الانتقال من مكان لآخر، والسفر، والوجهة أو المقصد الذي يُراد السفر إليه.

أما مفهوم أدب الرحلة اصطلاحا: فقد عُرف بأنه نوع من الأدب، له مميزات خاصة به، يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان، أو يملي على غيره مشاهداته ومشاعره تجاه ما سمع وما رأى؛ بغية إيصال فكرة معينة.

وقد تعددت تعريفاته من أديب إلى آخر، إلا أن جميعها تصب في المفهوم نفسه، ففي تعريف لمجدي وهبة وكامل المهندس أن أدب الرحلة: "مجموعة الآثار الأدبية، تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"(١).

وفي تعريف آخر لإنجيل بطرس: "أدب الرحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفاً له، ويسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير"(٢).

ويمثل أدب الرحلة لوناً أدبياً له أهدافه وخصائصه وأدواته الفنية، وكل ذلك يشكل مع كل رحلة أدبية، وفق غايات صاحبها ومهاراته في الملاحظة والتسجيل. وعلى المستوى الفني فإن: "أدب الرحلة يجمع بعض خصائص القصة والرواية

(١) مجدي وهبة وكامل المهندس– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب– ط٢– مكتبة لبنان، بيروت– ١٩٨٤م–ص١٧.

(٢) إنجيل بطرس– الرحلات في الأدب الإنجليزي– مجلة الهلال، مصر– العدد ٧– ١٩٧٥م– ص٥٢.

والسيرة الذاتية ويفيد من أدوات فنية مهمة كالقصة والصورة، فيمثل لونا أدبيا فريدًا"[١]. ومن هذا المنطلق برزت إشكالية التجنيس في هذا الأدب حيث يقول (كراتشكوفسكي): "أثار هذا الأدب اهتماماً بالغاً بسبب تنوعه، وغنى مادته، فهو تارة علمي، وتارة شعبي، وهو طور واقعي، وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة، لذا فهو يقدّم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب"[٢]، الذين تميزوا عن غيرهم، بكثرة تآليفهم في هذا الأدب الشاسع.

وبذلك يتبين لنا أن للرحلات قيمتين بارزتين هما؛ علمية وأدبية[٣]:

- ❖ تكمن القيمة العلمية في احتواء هذه الرحلات على كثير من المعارف والمدونات وثيقة الصلة بالجغرافيا والتاريخ، ففيها صور وتقارير شاملة ووافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعمرانية للعرب ومن جاورهم.
- ❖ وتظهر القيمة الأدبية في أن كثيرا مما أورده الرحالة في مذكراتهم، يمكن أن يأخذ سبيله إلى عالم الأدب والخيال كأنموذج من أرق النماذج على الوصف الفني الحي المتميز بغنى التجربة وصدق اللهجة الشخصية. فهذا الأسلوب الأدبي يتنوع بين الشعر والنثر من سرد قصصي وحوار وصف ... إلخ.

---

(١) عبد الله بن أحمد بن آل حمادي– أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية– بحث ماجستير– جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، السعودية – ١٩٩٧م– ص٩.

(٢) أغناطيوس يوليا نوقتش كراتشكوفسكي– تاريخ الأدب الجغرافي– ترجمة: صلاح الدين هاشم– مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة–١٩٦٣م– ص٢٤.

(٣) أحمد أبو سعيد– أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي– ط١– منشورات دار الشرق الجديد، بيروت– ١٩٦١م– ص٥.

وعليه فإن لأدب الرحلة خصائص عامة يحددها النقاد في الآتي[1]:

- **الذاتية**، وفيها تحضر ذات الرحالة في رحلته حضوراً بارزاً.
- **الحكي بضمير المتكلم مفرداً أو جمعاً**، فهو الراوي الأول لرحلته، إلا عند البعض، فمنهم من نوّع في استخدام الضمائر.
- **الواقعية**، وهي حديث عن واقع عاش به الرحالة سواء بمفرده أو مع أشخاص حقيقيين في فترة زمنية معروفة ومكان معروف.
- **دورة الخطاب**، وذلك بانطلاق الرحالة من موطنه إلى المكان المقصود، ثم عودته إلى نقطة الانطلاق مرة أخرى وهكذا.
- **تداخل الخطابات وتعدد المضامين**؛ حيث يشتمل خطاب الرحلة على معارف متنوعة: دينية، وتاريخية، وجغرافية وأدبية، وتتداخل فيه خطابات مختلفة منها الشعر والرسالة والقصة والحكاية والوصف والسرد والحوار.

(١) بلال حورية وبلال سعيدة– الخصائص الفنية في تصميم مشاهد الرحلة وأزمنتها "رحلاتي لبلاد السافانا الحاج أحمد الصديق أنموذجاً"– بحث ماجستير– جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر– ٢٠٢٠م/٢٠٢١م– ص٢٠، ٢١.

حول الكاتب ورحلته :

الكاتب عبد العزيز المسلم:

شاعر وكاتب وباحث وناشر إماراتي، ولد في الشارقة عام ١٩٦٦م، حاصل على الدكتوراه في التاريخ والتراث الثقافي، رئيس معهد الشارقة للتراث. صدرت له مجموعة من المؤلفات منها: «موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي: دراسة في المخيلة الشعبية»، ومجموعة «بنات واق واق: وحكايات أخرى» التي حصل بها على جائزة «سرد الذهب» عن فرع السرود الشعبية عام ٢٠٢٣م، يكتب بشكل دائم حول التراث الثقافي الإماراتي وعجائب الشعوب والأمم؛ (أسبوعيا في جريدتي الخليج والبيان)، و(شهريا في مجلة تراث)، ودوريا في صحف ومجلات متخصصة ومنوعة محلية وعربية[١].

رحلته في مدائن الريح:

ركز الكاتب في كتابه مدائن الريح على وصف المكان وتوثيقه؛ باعتباره مظهراً جمالياً ومعلماً أثرياً، فكان يصفه ويوثق له تاريخياً، لذلك جمع كتابه بين متعة نقل جمالية المكان، وفائدة نقل المعلومة التاريخية، وسر اهتمام المسلم بأدب الرحلات يعود إلى قراءاته لكتب حول أدب الرحلات تحديا رحلة ابن بطوطة[٢] **(تحفة النظار في عجائب الأمصار وغرائب الأسفار)**، هذا الكتاب الذي يعد من

---

(١) ينظر: عبد العزيز المسلم- مدائن الريح: رحلات في العالم- ط١- دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة- ٢٠١١م- ص١٥٥.

(٢) ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ): محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحالة، مؤرخ. ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى. طاف عددا من البلدان مثل: المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس.. واتصل بكثير من الأمراء، من مؤلفاته: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار – ينظر: الزركلي- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين- ج٨- ط١٤- دار العلم للملايين، بيروت- ١٩٩٩م – ص٢٣٥.

أقدم الكتب في تاريخ الرحلات، وقد شدت تلك الرحلة عبد العزيز المسلم وظلت حاضرة في ذهنه، وحين بدأ يسافر في العالم خطر له أن يسجل هو الآخر مشاهداته وانطباعاته عن المدن العديدة التي زارها في كتاب سماه (مدائن الريح)، يقول: "كل هذه المصنفات وذكريات رحلاتي الأولى الداخلية والخارجية كانت نواة طيبة لبعث همة كبيرة تمكنني من كتابة بعض الكلمات والجمل التي تمثل انطباعاتي ومشاهداتي التي كانت في أحيان كثيرة تقريرية وتسجيلية، فقد كنت أرى أن التحليل والنقد قد يكون شيئا من الخيانة لشيء أحببته"(١).

وقد اتبع الكاتب منهجا محددا في سرد رحلاته يقوم على التسلسل الجغرافي للمدن التي زارها حسب القارات بادئاً بآسيا، التي افتتحها برحلات لبنان، متوقفاً عند محطات؛ بيروت، صور، طرابلس الشرق، حيث قدم تعريفاً وافياً عن كل تلك المحطات، من ماضيها إلى حاضرها، مستعرضاً أهم المعالم، من جامعات، ومتاحف، ومزارات سياحية، وعلى ذلك المنوال سار الكاتب في وقفاته عند بقية المدن التي تناولها الكتاب، ثم انتقل إلى عمّان عاصمة المملكة الأردنية، ومنها إلى بانكوك(٢)، ثم رسم لوحات وصفية لبلاد الهند بلاد السحر والألوان والذهب والبهارات.

ثم عاد إلى إفريقيا من بوابتها العربية (القاهرة)، التي زارها لأول مرة سنة ١٩٨٨م، وفي القاهرة يتوقف بعد الاستعراض التاريخي عند المساجد ودور الكتب وغيرها من المعالم الخالدة، ومنها إلى (زنجبار)(٣) التي ارتبط اسمها عند أهل الخليج بالسحر؛ سحر الأحلام والخيال، حيث عالم صغير يجمع عدداً هائلاً من

(١) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٨.

(٢) بانكوك: هي عاصمة تايلند وأكبر مدنها، تقع على نهر شاو فرايا وسط البلاد، كما تسمى بندقية الشرق لكثرة مياهها.

(٣) زنجبار: هو اسم يطلق على مجموعة من الجزر الواقعة في المحيط الهندي، وتعتبر تابعةً لدولة تنزانيا الواقعة في شرق أفريقيا.

اللغات والأديان والأعراق. ثم إلى بوابة العرب الغربية، إلى المملكة المغربية، حيث يمر على أربع من مدنها العريقة هي: الدار البيضاء، الرباط، مراكش، الصويرة[١]، وفي تلك المدن يأخذنا الكاتب كالعادة في جولة تاريخية تعريفية، تليها جولة معاصرة في ساحاتها ومعالمها البارزة. ومن المغرب يأخذ الكاتب القراء إلى القارة الأوروبية تحديدا فرنسا، ثم إلى لشبونة عاصمة البرتغال، ثم إلى أميركا الشمالية، في زيارة إلى مدينتي أتلانتا وشيكاغو.

واللافت للنظر عنوان الكتاب: (مدائن الريح: رحلات في العالم)، ويبدو أن الكاتب كان حريصا على هذا الاختيار، وواعيا بأهمية العنوان الذي يعد مفتاحا رئيسيا في تأويل النصوص، والعتبة الأولى التي يصادفها المتلقي، وتغريه للدخول في النص، فالعنوان يمثل "المرجع الذي يتضمّن بداخله العلامة والرمز وتكثيف المعنى؛ إذ يحاول المؤلف فيه أن يثبت مقصده برمته بوصفه النواة المتحركة التي خاط عليها نسيج نصه"[٢]. كما أن الكاتب من خلال عنوانه يرسل إشارة مختزلة تؤسّس لفضاء نصي واسع، قد يفجّر في وعي المتلقي أو لا وعيه حمولة ثقافية وفكرية[٣].

ومن خلال النظر إلى عنوان كتاب المسلم (مدائن الريح) كعلامة لغوية نجد أنه تمثّل في كلمتين محورتين؛ واحدة تدل على الجمع (مدائن)، وهي نكرة مضافة، توحي بالكثرة، أضيفت إلى كلمة تفيد المتلقي بنوع هذه المدائن وهي كلمة (الريح).

---

(١) الصويرة أو السويرة، وتلقب بمدينة الرياح، هي مدينة وجماعة حضرية مغربيةٌ ساحلية مطلة على المحيط الأطلسي، مسجلة ضمن لائحة مواقع التراث العالمي لمنظمة اليونسكو، ومعروفة بالسياحة التراثية.

(٢) علي أحمد العبيدي– العنوان في قصص وجدان خشاب "دراسات سيميائية" – مجلة دراسات موصلية، العراق– ع ٢٣ – ٢٠٠٩م– ص ٦١.

(٣) جليلة الطريطير– في شعرية الفاتحة النصية "حنا مينا نموذجا"– علامات– م ٧ – ج ٢٩ – ١٩٩٨م– ص ١٥٦.

وقد أشرنا سابقا أن اختياره لهذا العنوان تحديدا ينم عن وعي تام ومقصود بهذا الاسم دون غيره؛ (فالمدائن) اسم يدل على جمع، وقد ورد في لسان العرب: "مَدَنَ بالمكان: أَقام به... وتجمع على مَدَائن، بالهمز، ومُدْنٍ ومُدُن بالتخفيف والتثقيل... وفلان مَدَّنَ المَدائنَ: كما يقال مَصَّرَ الأَمصارَ... وهي كلُّ أَرض يبنى بها حِصْنٌ"(١).

ولاشك أن مفردة (الريح) شأنها شأن سائر المفردات الموصولة بعناصر عوالمنا، وقد فرضت حضورها في الأدب، وتنصلت من تعريفها العادي، وفتحت عند استعمالاتها الجديدة أبواب التأويل والتحليل والتأمل؛ حيث إنها أصبحت اليوم من الكلمات المفاتيح لدى أدباء الحداثة والنقاد، ومن أهم مرجعياتهم اللغوية، فنجد مثلا نزار قباني يقول(٢):

آه يا شامُ كيفَ أشرحُ ما بِي ∴ وأنا فيك دائماً مسكون

قادمٌ من مدائن الريح وحدي ∴ فاحتَضنّي كالطفل يا قاسيونُ

لقد عبر نزار قباني في نصه السابق عن حزنه؛ لأنه بعيد عن حبيبته الشام، صحيح أنّه لا يسكنها، لكنّها تسكنه دائمًا، فينظر إلى قاسيون ذلك الجبل الذي يُحيط بدمشق، فيراه أمًا رؤومًا تحتضنه من الغربة القاسية التي قضاها في مدائن الريح.

نلاحظ بأن عبد العزيز المسلم يتناص مع بيت نزار قباني السابق، ومجيء العنوان بهذا التركيب (مدائن الريح) يشير إلى المكان الذي انتقل إليه الأديب، وإضافة (الريح) إليه توحي بأنه مكان لا استقرار فيه ولا سكن. ومن هذا المنطلق يتبين لنا أن مفردة (الريح) التي نحاول استجلاء وجهها الآخر، وقراءة معناها هي كائن متحرك داخل النص، وتمثل الذات المتقلبة المتغيرة، وجنوحها إلى الحركة

(١) ابن منظور– لسان العرب– مادة (م د ن) – ص٤١٦٠.

(٢) نزار قباني– الأعمال السياسية الكاملة– ج٢– منشورات نزار قباني، بيروت– ص ٤٢٩.

والتحرر من قبضة الجمود، فهي ذات لا تستقر في مكان، بل تبقى في رحلة بحثية استكشافية دائمة.

وهذا ينطبق تماما على رحلات عبد العزيز المسلم في كتابه (مدائن الريح)؛ ففي هذا الكتاب يسجل يوميات ومشاهدات تحتفي بالمدن ومعالمها، وبالظواهر والوقائع التي استأثرت باهتمام رحالة أتيح له عبور المحيطات والتجوال في القارات، ليعود من تجواله إلى مدينة القلب (خور فكان)[١] مكتشفاً أنها الحب الأول الذي لا ينسى أبداً، يقول في مقدمة كتابه: "لن أنسى هذه الرحلات البسيطة وأنا أتحدث عن رحلات طويلة عبرت بها المحيطات والقارات، فالحب الأول لا ينسى أبدا"[٢].

أما في ما يتعلق بجملة (رحلات في العالم) الواردة في العنوان كذلك فإن هذه الجملة الاسمية الخبرية، حاملة للوظيفة التوضيحية في العنوان، والتي تتمثل في أمرين:

- أنها وضحت أن هذا الكتاب، يندرج تحت، نوع أدبي خاص، هو أدب الرحلة.
- كما بينت أن هذا الأدب الرحلي ليس إلى مدينة واحدة ولا إلى مكان واحد، بل هو أدب رحلي عالمي، وبتعبير المبدع: "عبرت بها المحيطات والقارات..."[٣].

(١) خور فكان: مدينة ساحلية، تقع على شواطئ خليج عمان، وتتبع إمارة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

(٢) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٩.

(٣) المصدر نفسه– ص٩.

الذات المركزية لنص الرحلة:

في النص الرحلي هناك ذات مركزية، ترى العالم وترصده، وتعيش تجارب مختلفة؛ لتروي في النص ما استكشفته. والذات المركزية، أو المتكلم في رحلة عبد العزيز المسلم لها وظائف متعددة؛ فهي المُبَئِّرُ؛ أي "الرائي والمدرك الذي يُتعرَّفُ إليه داخل النص ... بالإجابة عن السؤال: من يرى؟"(١)، وهي الشخصية التي عاشت التجربة، وأدت فعل الرحلة، وهي الراوي؛ أي "الواسطة بين العالم المُمَثَّل والقارئ، وبين القارئ والمؤلف الواقعي، ويُهتدى إليه بالإجابة عن السؤال: من يتكلم؟"(٢). وبالتالي يمكننا تقسيم الراوي إلى قسمين:

[أ] الراوي–المُبَئِّرُ: وهو الذي يرصد "العالم– الفضاء الموضوعي، وهو منه على مسافة، وهذه المسافة قد تبعد، وقد تقرب، وبوساطة الوصف كبنية خطابية صغرى (صيغة) يقدم لنا الراوي المبئِّر العالم الذي يشاهده، ويتحقق ذلك من خلال ضمير الغائب"(٣).

ونجدُ (الراوي– المُبَئِّرُ) في رحلة عبد العزيز المسلم منتشرا في النص في مختلف الفضاءات الجغرافية والثقافية والاجتماعية والسياحية... التي مر بها ورآها، ثم وقف عليها ليرصدها ويصفها، ويتضح ذلك، مثلا، فيما شاهده في رحلته إلى طرابلس الشرق صيف عام ٢٠٠١م: "طرابلس الشام: لؤلؤة البحر الأبيض المتوسط، مكان تزهو فيه الطبيعة التي تحتضن على ربوتها أروع المتاحف والقلاع والأبراج والقصور القديمة، شهدت إبحار السفن الفنينية، ناشرة الحرف والتبادل الحضاري والتجاري يوم احتضنت أقدم التجمعات السكانية منذ سبعة آلاف سنة...

---

(١) محمد القاضي وآخرون– معجم السرديات– ط١– دار محمد علي، تونس– ٢٠١٠م– ص٣٦٩.

(٢) المرجع نفسه– ص١٩٥.

(٣) سعيد يقطين– السرد العربي: مفاهيم وتجليات– ط١– دار العلوم ناشرون، بيروت– ٢٠١٢م– ص١٨٦.

طرابلس مدينة وقرية وساحل وجبل وميناء، وهي الهدوء والضجيج وتلاقي العمارات الحديثة بالمباني القديمة التاريخية وسط انبساطها على شاطئ البحر وما يرمز إليه من تحرر وانطلاق وتطلع إلى الغير"[١].

ويظهر الراوي المُبَئِّرُ في النص السابق –وفي نصوص أخرى كثيرة– وكأنه آلة تصوير، ينقل للقارئ ما ترصده عيناه، ولعل الكاتب أراد من ذلك أن يخرج من الذاتية التي تصبغ عادة هذا النوع من النصوص، والتي تجبر الكاتب على الرفق بنفسه، وإضفاء مظاهر الكمال عليها، وحجب النواقص البشرية التي تعتريه، وبالفعل يبدو أن عبد العزيز المسلم نجح –إلى حد ما– في الخروج من ذاته بهذا الأسلوب، وهو ما أضفى على النص نوعا من التجرد في تناول الذات، وكأن الرواي ينقل للقارئ ما وقعت عليه عَيْناه، ويقدم له معرفة موضوعية دون تدخل ذاتي منه.

[ب] <u>الراوي–الشخصية</u>: وهذا النوع يختلف عن سابقه "من حيث كونه ينفعل بالفضاء الذي يوجد فيه، ويقع عليه الفعل إيجابا أو سلبا، ويتميز عن المبئِّر باستعماله ضمير المتكلم (مفرد– جمع)، وهو يتكلّف بواسطة السرد بتقديم ما وقع له هو بالذات"[٢]. ونجد (الراوي– الشخصية) في رحلة عبد العزيز المسلم منتشرا في النص، واللافت للنظر أن هذا النوع يبدأ عند الكاتب من المقدمة؛ حيث يقول: "لم أكن أظن يوما بأنني سوف أكون قادرا على صياغة كتاب فيه شيء من أدب الرحلات، ذلك الفن الذي طالما أعجبت به"[٣]، ويتابع قائلا: "أتذكر بكثير من الخرافة والإبهار رحلتي الأولى إلى مدينة خورفكان في الساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة"[٤]، وقد قدّم سعيد يقطين في كتابه (السرد العربي،

(١) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٣٣، ٣٤.

(٢) سعيد يقطين– السرد العربي: مفاهيم وتجليات– مرجع سابق– ١٨٧.

(٣) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٧.

(٤) المصدر نفسه– ص٨.

مفاهيم وتجليات) عددًا من الخصائص التي يرى أنها تميز الخطاب السردي للرحلة، من أهم تلك الخصائص: استخدام ضمير المتكلم (الأنا)، الذي يبرز في الخطاب الرحلي؛ بوصفه راويا وشاهدا مركزيا؛ فالرحالة الراوي هو الذي يقدم المشاهد والأحداث موظفا وجهة نظره (رؤيته) الخاصة، مثلما يتم في السيرة الذاتية، ومع ذلك علينا التمييز بين السيرة الذاتية التي تتناول عادةً مجمل حياة المؤلف الراوي، بينما النص الرحلي لا يتناول إلا مدة محددة من حياة المؤلف، وهي المدة التي قضاها في السفر(١). وقد جعل عبد العزيز المسلم (الراوي–الشخصية) بصيغة (ضمير المتكلم) (الأنا) بؤرة مركزية، يسرد من خلالها تجربته الذاتية. ويستخدم الكاتب كذلك ضمير المتكلم الدال على الجمع (نحن) في بعض المواضع، مثل: "وإذا انتقلنا من المباني إلى الحدائق فإن متنزه (لال باغ)(٢) يظهر انسجاما رائعا بينه وبين الطبيعة والتاريخ"(٣)، "ويمكننا أن نتتبع بسهولة تخطيط السور الإسلامي بأشبونة"(٤).

لقد راوح الكاتب في سرده بين ضمير الـ (أنا) والـ (نحن)، ولا يخضع استعمال الضمائر في حكي المسلم إلى قانون ثابت، لكننا لاحظنا بشكل عام غلبة ضمير الـ (أنا)؛ وهذا يتناسب مع الأدب الرحلي؛ فالراوي عادة يكون الرحالة نفسه، أو شخص واقعي يروي الحكاية بضمير الـ (الأنا) غالبا، أما الاستعانة بضمير الـ (نحن) فقد يكون لأسباب منها: تقريب المسافة بينه وبين المتلقي، وتحقيق المشاركة بينهما. كما أن هذا التنوع في استخدام الضمائر يحقق في النص ما

(١ ينظر: سعيد يقطين– السرد العربي: مفاهيم وتجليات– مرجع سابق– ٢٠١٢م.

(٢) متنزه لال باغ: من أشهر الحدائق النباتية في الهند، تضم أكبر مجموعة من النباتات الاستوائية في البلاد. وتعد الحديقة ملاذ أهل مدينة بنغلور، وتحتل مكانة خاصة في قائمة وجهات الهند السياحية الأكثر زيارة من داخل البلاد وخارجها.

(٣) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٥٢.

(٤) المصدر نفسه– ص١٣٨.

يسمى بـ (الانزياح الضمائري)؛ أي استعمال الضمير بما يخالف الواقع الذي يعكسه، فالأصل أن يتطابق الضمير مع صفة حامله (إفرادا، تثنية، جمعا، تأنيثا، تذكيرا) فإذا خُرقت هذه القواعد وقع الانزياح، وهو ما يعرف كذلك بالالتفات الذي يعني اختراق الحالة الطبيعية في عملية التجاوز بين الجمل، بتغيير مساق الكلام من جهة إلى أخرى، وبهذا العدول عن الظاهر يتحقق الانزياح(١).

وإلى جانب الراوي المركزي هناك رواة ثانويين شاركوا في السرد؛ فتحول الراوي المركزي/ المؤلف إلى مستمع، ومن أبرز الرواة الثانويين ياقوت الحموي(٢)، ويظهر جليا تأثر الكاتب به؛ حيث يدخله في سرده بين الحين والآخر؛ تأكيدا على معلومات تاريخية معينة، مثال ذلك: "ذكرها ياقوت الحموي في مصنفه معجم البلدان فقال: (بيروت بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو والتاء فوقها نقطتان. مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام..."(٣)، ويستلم الحموي الحكي، ويتحول الراوي الأول عبد العزيز المسلم إلى مستمع، والحموي يسرد حكايته عن بيروت، التي قد تستغرق صفحة من كتاب (مدائن الريح). وهكذا تسير حركة السرد على لسان الراوي المركزي/عبد العزيز المسلم، وبعض الرواة الثانويين الذين يدخلهم الكاتب؛ ليسردوا بأنفسهم.

(١) علي الفرج– تكوين البلاغة، قراءة جديدة ومنهج مقترح– ط١– دار المصطفى لإحياء التراث، إيران– د.ت– ص١٩٤.

(٢) ياقوت الحموت (ت ٦٢٦هـ): مؤرخ ثقة من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب، من مؤلفاته: معجم البلدان، معجم الشعراء. ينظر: خير الدين الزركلي– الأعلام– مرجع سابق– ص١٣١.

(٣) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص١٨.

أنواع مخاطبات السارد من حيث الوظيفة:

وقد لاحظنا في رحلة عبد العزيز المسلم أن طبيعة السارد ودوره يفرضان كمّا كبيرا ومتنوعا من المخاطبات، حيث يأخذ السارد بالتناوب بين دور الشخصية أو المبئر أو يجمع بينهما في الوقت نفسه(١)؛ فالتبئير يقوم في الغالب على وصف يستدعي المسرود له ليس كمتلق للسرد فحسب بل كمشاهد، عليه أن يسخر حواسه(٢)؛ للتعرف على ما يصفه له السارد المعاين لهذه المرصودات.

ونشير كذلك إلى تداخل هذه المستويات، وإلى تشابه المخاطبات بين مستوى وآخر واشتراكها في كثير من الخصائص، مما يوجه تصنيف هذه المخاطبات وفق أسس أخرى منها الوظيفة البارزة للسارد. ويمكن تقسيمها كالآتي:

[١] <u>المخاطبات ذات الوظيفة التعليمية</u>:

إن النص الرحلي حافل بالتفصيلات والشروح التي تتم في المتن، يتوجه من خلالها السارد إلى متلقٍ غير عارف، أو خالي الذهن، فيضطلع السارد بوظيفته التعليمية، وهذا الأمر واضح في كثير من مقاطع الكاتب المسلم في حديثه عن المدن وتقسيمها إلى أمكنة تحدث فيها عن حيثيات تفصيلية بأسلوب تقريري تعليمي، نذكر على سبيل المثال حديثه عن المتحف الوطني ببيروت: "افتتح عام ١٩٤٢م، يحتوي على مجموعة من الأسلحة والأدوات التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ وعلى مجموعات من التماثيل والمنحوتات والفخاريات والمجوهرات التي تعود إلى عصور تاريخية مختلفة بما فيها كنور جبيل ولا سيما ناووس أحد ملوكها

(١) سعيد يقطين– السرد العربي: مفاهيم وتجليات–مرجع سابق– ص٢٠٥.

(٢) عبد الرحيم مودن– الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد– ط١– دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية – ٢٠٠٦م– ص ٢٠٣.

(أحيرام) الذي يشكل لؤلؤة هذا المتحف كونه يحمل أقدم كتابة فينيقية بالأبجدية النسخة التي تشكل أصل الأبجديات المعاصرة"[١].

كما يتضمن الخطاب الرحلي التقييم الموجه إلى المتلقي/المسرود له؛ عن طريق الإيماءات والمواضعات التي يمررهها السارد، فقد نجده يعرف الأماكن أو الشخصيات عن طريق الإشارة إلى قرينة مرتبطة بها، دون تفصيل، لكنه يقصد متلقيا مخصوصا؛ يعرف أو عليه أن يعرف الحيثيات المضمرة، فنجده مثلا يتحدث عن المنتجلات التايلاندية التي تجذب السياح: "أما المنتج الآخر الذي يجذب إليه زوار المدينة فهو حجر (السفير) الأزرق المتدرج الألوان الذي يسحر الأنظار"[٢]، وكذلك وصفه لدلهي القديمة: "زحام في سوق الحوانيت (تشاندني تشواك) الذي قيل إنه كان أثرى شوارع العالم في يوم من الأيام، وقد صمم بشكل عريض ليتسع لمواكب الامبراطور (شاه جيهان)"[٣]. فلم يقدم الكاتب –كعادته– معلومات تفصيلية عن سر الإعجاب بحجر السفير بتايلاند، ولا سبب ثراء سوق الحوانيت بدلهي.

وإذا كانت المعلومات المضمرة توحي بملامح معينة للسارد، كتنوع ثقافته واتساعها، فإنها تلح على مسرود له أو متلقٍ خاص؛ لأنها تتعلق برسالة قد تكون مجهولة الشفرة لدى كثير من المتلقين كالعربي غير العارف للغة أو التراث التايلندي أو الهندي أو الإنجليزي، غير أن هذا الإضمار ينشئ تحفيزا لرغبة المعرفة لديه من أجل ضمان عملية التواصل مع ما يسرد، وتجنبا للإقصاء.

(١) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٢٠.

(٢) المصدر نفسه– ص ٤٣.

(٣) المصدر نفسه – ٨٣.

كما يستعين السارد بوظيفته السردية في الشرح والتوضيح الموجهين إلى المتلقي عن طريق سرد حكايات كاملة ؛ كما في حكايات ومغامرات ابن بطوطة في الهند(١).

[٢] المخاطبات ذات الوظيفة الاتصالية:

وهنا يحرص السارد وهو يستعرض مشاهده أن يصطحب المتلقي إلى الأماكن التي زارها، وينقلها بشكل مباشر، كأنه يقدم عرضا توثيقيا تسجيليا لرحلته. وتتضح هذه المصاحبة في القرائن التي تقرب المرئيات من المتلقي عبر مخاطبته مباشرة، ودعوته إلى المشاركة في المعاينة والرصد، فيقلص السارد بذلك المسافة بينه وبين المتلقي مسندا الأفعال التي يقوم بها كرحالة إلى المتلقي/المسرود له، ومثل هذه الصيغ لا تحمل المسرود له "أن يتظاهر بأنه أحد الصحبة المستمعة فحسب"(٢)، بل تجعله هو من يقوم بالرحلة، مثل قول الكاتب: "إن زيارة فنادق بانكوك تعطيك انطباعا بأنها قصور ملكية ساحرة، فيها كل وسائل الراحة والاستجمام"(٣)، "وإذا انتقلنا من المباني إلى الحدائق فإن متنزه (لال باغ) يظهر انسجاما رائعا بينه وبين الطبيعة والتاريخ"(٤)، "ويمكننا اليوم أن نتتبع بسهولة تخطيط السور الإسلامي بأشبونة"(٥)... نلاحظ من النصوص السابقة أن تقلص المسافة –أحيانا– بين السارد والمسرود له يؤدي إلى التماهي بينهما؛ وذلك نتيجة إحالة الضمائر على كل منهما: (انتقلنا، يمكننا).

(١) ينظر: عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٤٩، ٥٠.

(٢) والتر أونج– الشفاهية والكتابية– ترجمة: حسن عز الدين– مجلة عالم المعرفة، الكويت– العدد ١٨٢– ١٩٩٤م– ص١٥٢.

(٣) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٤١، ٤٢.

(٤) المصدر نفسه– ص٥٢.

(٥) المصدر نفسه– ص١٣٨.

وتعمل الوظيفة الاتصالية في هذا النوع من المخاطبات على رسم ملامح متلقٍ عام، فهذا الخطاب يُشعر عموم المتلقين أنه موجه لهم، كما أن المتلقي هنا مطمئن؛ غير معارض، ولا مشكك فيما ينقله السارد.

[٣] <u>المخاطبات الإيديولوجية</u>:

على خلاف المخاطبات السابقة التي يبدو فيها السارد والمتلقي قريبين من بعضهما، أو مستقرين؛ فإن المخاطبات ذات الوظيفة الحجاجية يتم فيها طرح الرؤى الفكرية المتنوعة، فتأخذ طابع الحجاج؛ لأجل الإقناع، فيخرج المتلقي من دائرة المسرود له المطمئن المتلقي لتجارب الآخرين دون اعتراض، ويصبح طرفا حرا، له رد فعل خاص به، وله حق الحكم المختلف، وله حق الإجابة الخاصة، فيطرحها الكاتب –غالبا– في صيغة استفهام: "بنغلور[١] ليست مجرد فن معماري إنها أيضا مركز التقنية العليا في الهند... ماذا يمكن أن تشاهد؟"[٢]، أيضا في رحلته إلى زنجبار هناك أسئلة ذكرها على لسان أهل المدينة: "هل تعرف أن بلادهم عربية أو أن العرب هم أول من نزلوا فيها وسموها بهذا الاسم...؟ هل ستسكن في المدينة القديمةStone Town ؟"[٣]. فهذا الأسلوب الاستفهامي أشبه بحوار حجاجي مع متلقٍ يتخيله السارد، قد يكون معارضا لفكرته أو رؤيته.

وقد ترد بعض الحجاجات البلاغية التي يتخيلها السارد بينه وبين المتلقي، مُوقِفا بها الحكي؛ لأجل إثبات رؤية ما بصدد شخصية محددة، أو بلد ما، أو فكرة معينة، كتصوير مراكش المغرب، التي ركز فيها على إثبات سحر جمالها، من

---

(١) مدينة بنغالور أو بنجلور هي واحدة من أهم أماكن السياحة في الهند، وتقع في ولاية كارناتاكا، تلقب بالجاردن سيتي؛ بسبب كثرة الأشجار الطويلة التي تصطف على جانبي شوارع المدينة. كما أنها تعد من أهم مدن الهند التجارية، وتمتلك الكثير من الحدائق والشوارع القديمة ومجمعات السينما والترفيه.

(٢) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٥٣.

(٣) المصدر نفسه– ص١٠١.

خلال سرد الحكايات التاريخية التي يوقف السرد خلالها، ويلتفت لمخاطبة المتلقي، فيقول مثلا: "مراكش ليست مدينة عادية على الإطلاق إنها مدينة البهجة، كما أنها ليست مدينة غريبة، فبمجرد أن تسكنها تجدها تسكنك، ولكنها كانت كامنة في زاوية من زوايا الحلم الندي. هي مدينة استوطنها التاريخ وغطتها عباءات القداسة والوداعة والسحر فأضحت محروسة من كل شر محدق وعين تؤرق"(١). وبذلك تفتر الوظيفة السردية أمام سعي السارد لإبراز رؤية معينة، واتجاهه إلى تكثيف اتصاله بالمتلقي؛ لإحراز القبول لديه.

سرد الزمان:

يعد الزمن بعدا مهما في الأدب بشكل عام؛ لكونه يمثل نسقا وجوديا تتكامل فيه التجربة الإنسانية، ويقصد به: "مجموعة من العلاقات الزمنية– السرعة والترتيب، والمسافة الزمنية– بين المواقف والأحداث المحكية وعملية حكايتها؛ بين القصة والخطاب، بين المحكي وعملية الحكاية"(٢).

وقد اعتمد الكاتب في رحلته على المفارقة الزمنية؛ وهي كما يعرفها جيرالد برنس: عدم توافق في الترتيب الذي تحدث فيه الأحداث والتتابع الذي تُحكى فيه، فبداية تقع في الوسط يتبعها عودة إلى وقائع حدثت في وقت سابق تشكل نموذجا مثاليا للمفارقة(٣)، فالرحالة يروي أحيانا أحداث الرحلات، ويعمد إلى التلاعب فيها من خلال تقنيتي الاسترجاع والاستباق.

وفي رحلة عبد العزيز المسلم نجد الكثير من الاسترجاعات؛ فيقوم الكاتب باستعادة وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة أو اللحظة التي يتوقف فيها القص

(١) المصدر نفسه– ص١١٣، ١١٤.

(٢) ركان الصفدي– الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري– ط (٢) الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق– ٢٠١١م– ص٣٤٠.

(٣) جيرالد برنس– المصطلح السردي– ترجمة،: عابد خزندر– ط ٢– المجلس العلى للثقافة، القاهرة– ٢٠٠٣م– ص٢٤.

الزمني لمساق من الأحداث؛ ليدع النطاق لعملية الاسترجاع[١]، كما في قوله: "أما رحلتي الأولى خارج الإمارات فقد كانت عام ١٩٧٤م عندما قرر والدي أن نذهب إلى ساحل الباطنة في سلطنة عمان لزيارة بعض الأصدقاء"[٢]، "زيارتي الأولى للقاهرة كانت في صيف ١٩٨٨م وهي النظرة الأولى التي أوقعتني في سحر النيل"[٣]، وعن رحلة فرنسا يقول: "زيارتي لهذه المدينة كانت شيئا من الحلم، كانت الزيارة في شتاء ١٩٨٨م مع وفقد رسمي من إمارة الشارقة للاحتفال بتتويج الشارقة عاصمة ثقافية للوطن العربي"[٤]، يحاول الكاتب من خلال الاسترجاعات السابقة أن يفيد المتلقي بمعلومات تتعلق بالأزمنة الدقيقة لرحلاته الأولى، ودوافعها، ويبدو أن الكاتب وفي سياق عملية التذكر، قد يذكر الحقيقة على نحو فيه شيء من التقرير والمباشرة، الأمر الذي يغطي أحيانا على العناصر الفنية في النص الرحلي.

المدة الزمنية في الرحلات (حركة السرد):

إن التفاوت بين زمن الوقائع وزمن القص يولد تسريعا وتبطيئا للحركة السردية في النص. وقد قسم جيرار جينت الحركات السردية إلى طريقتين متناقضتين؛ إحداهما تعمل على تسريع السرد عن طريق (الخلاصة والحذف)، والأخرى تبطئ السرد من خلال (المشهد والوقفة). وتظهر الحركات السردية في رحلة عبد العزيز المسلم كالآتي:

(١) المرجع نفسه– ص٢٥.

(٢) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٩.

(٣) المصدر نفسه– ص٨٩

(٤) المصدر نفسه – ص١٢٧.

[١] الخلاصة:

ويقصد بها: "سرد أحداث ووقائع جرت في مدة طويلة (أيام، أو شهور أو سنوات، العقود) في جملة واحدة أو كلمات قليلة، إنه حكي موجز وسريع وعابر للأحداث دون التعرض لتفاصيلها، يقوم بوظيفة تلخيصها"(١). وقد وظف الكاتب الخلاصة؛ لتسريع الأحداث كما في رحلته إلى محمية بنديبور(٢): "بعد أن أمضينا ليلة في ميسور(٣) توجهنا إلى محمية غور أو كما تسمى حديقة بنديبور الوطنية"(٤)، ويقول عن رحلته إلى الرباط: "بعد الليلة الأولى التي قضيتها في الدار البيضاء توجهت في اليوم التالي إلى الرباط وهي جولة في مدن المغرب"٥. نلاحظ أن الخلاصة هنا دفعت السرد إلى الأمام، فلم يخض الرحالة في تفاصيل الأحداث، بل لخصها في كلمات محدودة، فهو يحكي عن الجولات التي قام بها في الأمكنة التي زارها، بمرور سريع على فترات زمنية حكائية؛ لأنه يرى أن الأحداث المقتطعة قد لا تفيد السياق السردي.

[٢] الحذف:

وهو أن يذكر الفترة الزمنية المحذوفة صراحة، كما في رحلته إلى مراكش، يقول: "هذا هو اليوم الثالث لي في المغرب، أنطلق باكرا برفقة صديقي ودليلي عزيز إلى المدينة التي جئت خصيصا لزيارتها"(٦)، وعن مدينة الصويرة يقول: "بعد

(١) محمد بوعزة- تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم- ط ٢- الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- ٢٠٢٠م- ص٩٣.

(٢) بنديبور: من أهم محميات الهند المخصصة للفيلة.

(٣) ميسور: تعدل اسمها مؤخرا إلى مَيسورو، هي ثاني أكبر مدينة في ولاية كارناتاكا في الهند. تشتهر مَيسور بالمهرجانات العديدة التي تقام فيها وتجلب العديد من السياح لها كل سنة.

(٤) عبد العزيز المسلم- مدائن الريح- مصدر سابق- ص٦٧.

(٥) المصدر نفسه- ص١٠٩.

(٦) المصدر نفسه- ص١١٣.

قضائي ثلاث ليال جميلة من ليالي ألف ليلة وليلة في مراكش توجهنا في اليوم الرابع إلى مدينة الصويرة"[١]. نلاحظ في هذين المقطعين أن الكاتب أسرع في السرد؛ حيث عمل على إسقاط فترة زمنية محددة من زمن السرد وكانت مدتها يومين أو ثلاث ليال، لم يحبذ ذكر الأحداث التي وقعت؛ لأنها بعيدة عن مقاصده.

أما الحذف غير المحدد فهو الذي لم يعلن الكاتب المدة الزمنية التي أزاحها من السرد ومثال ذلك قوله في رحلة حيدر آباد[٢]: "وصلت إلى حيدر آباد قادما من بنغلور وفور وصولي أودعت حقائبي في فندق (وودبرج) الجسر الخشبي... كنت قاصدا مكتبة حاذق ومحيي التي تبيع كتبا عربية... بعدها عدت إلى الفندق"[٣]، ويقول كذلك: "ثم تكررت زياتي لمصر حتى أصبحت لا أحصي عددها"[٤]، فالراوي في هذا السرد لم يحدد بدقة الفترة الزمنية التي أزاحها من زمن الحكاية؛ إذ يصعب تعيين المدى الزمني المحذوف بصورة دقيقة، والغاية وراء هذا الحذف هي أن الفترة غير المعلنة لا تضيف شيئاً جديداً ومهماً إلى سير أحداث الرحلة.

[٣] الوقفة الوصفية:

وتعني: "الموضع الذي يتعطل فيه السرد وتعلق الحكاية ليفسح المجال للوصف أو التعليق أو التأمل أو غير ذلك من الاستطرادات التي تدرج ضمن ما يسمى بتدخلات المؤلف؛ لأنها تجسد أقصى درجات الإبطاء في السرد"[٥].

---

(١) المصدر نفسه– س١٢١.

(٢) حيدر آباد: هي عاصمة ولاية تيلانغانا الهنديَّة وأكبر مدنها وعاصمة ولاية أندرا برديش، وتضم العديد من الأماكن السياحية.

(٣) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٧١.

(٤) المصدر نفسه– ص٨٩.

(٥) محمد القاضي وآخرون– معجم السرديات– مرجع سابق– ص٤٧٨.

والوقفة الوصفية تحتل مساحة كبيرة في جميع رحلات عبد العزيز المسلم، وهو يوظفها بشكل لافت للانتباه، وقد لا نبالغ إذا قلنا إن جميع رحلاته جاءت بشكل الوصف، حيث مزج بين السرد والوصف؛ ذلك أنه يشاهد الأشياء، ويمر بالأماكن والشخصيات المختلفة، فيقف عندها، ويصف أجزاءها ومكوناتها الخارجية، بأسلوب التعليق الدقيق، والتفسير الشامل، وبالتالي تؤدي هذه الصفات إلى إبطاء السرد. فعبد العزيز المسلم في أغلب رحلاته يضع عناوين جانبية لأهم المناطق والحدائق والمعابد والمكتبات والمتاحف والأسواق والمناظر الطبيعية التي تتميز بها الدولة، مثلا يقول عن (دلهي)[١]: "وفي دلهي يوجد أكبر مساجد آسيا (المسجد الجامعة والوصول إليه يكون عبر طريق يجلس فيه بائعو عاديات وخرق قديمة وأنتيكات مكسرة وأطعمة ومتسولون مبتورو الأعضاء وماعز وميكروفونات. إنه نمط غريب وعجيب من الحياة"[٢]، وفي حديثه عن متحف الفنون بأطلنطا[٣]: "يقع هذا المتحف في مركز وودرووف للرسوم، وهو عبارة عن بناء أبيض جميل قام بتصميمه فنان يدعى ريتشارد ميرد. هذا البناء مكون من عدة أجزاء، الجزء الأول مقسم إلى أقسام تعبر عن مدارس زخرفية متنوعة... ويوجد جزء آخر في البناء يحتوي على معرض للصور التي تعبر عن الفنون الشعبية"[٤]. في الرحلتين السابقتين نجد الراوي كان يحاول أن يسرد الأحداث نحو الأمام، لكن ظروف الأحداث تجعله يتمهل في الحكاية؛ لوصف المكان ورسمه رسماً دقيقاً، ومن هنا يضطر إلي إيقاف اندفاعه، واللجوء إلى الوصف؛ ليقدم صورة فوتوغرافية للقارئ

(١) دلهي: عاصمة الهند، وثاني أكبر مدينة هندية بعد مومباي.

(٢) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٨٣.

(٣) أطلنطا أو أتلانتا: هي عاصمة ولاية جورجيا الأمريكية، وأكبر مدنها من حيث السكان، وتعد مركزا ثقافيا واقتصاديا.

(٤) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص١٤٩.

الذي لم يشاهد شيئاً عن هذا المكان، فقد حدد الراوي جميع مكونات المكان الموصوف.

سرد المكان:

يمثل المكان المادة الأساسية والمحورية والنواة التي يبني عليها الرحالة – السارد– نصه، فنجده يقدم إشارات جغرافية تعمل على تنشيط خيال المتلقي، وتوسع مداركه. ويقصد بالمكان في النص السردي: "المجال الذي تسير فيه الأحداث من تحولات على مستوى الشخصيات من أفعال وأقوال"(١).

والمكان في رحلات الكاتب عبد العزيز المسلم، مجموعة الأمكنة التي تقوم عليها حركة الرحلة المتمثلة في سيرورة الحكي سواءً تلك الأمكنة التي يصورها الرحالة بشكل مباشر أم تلك التي تدرك بالضرورة وبطريقة ضمنية مع كل حركة في الرحلة. وقد عمل الرحالة على تحديد معظم الأماكن التي زارها، مسجلا مشاهداته وانطباعاته الشخصية لمدن كثيرة في العالم.

وخلافا للترتيب التقليدي للرحلات، بالتسلسل التاريخي، ابتدع عبد العزيز المسلم طريقته الخاصة، فصنف مدائنه بحسب (المكان) تحديدا القارات؛ إذ افتتحها بقارة آسيا، وبدأ برحلات لبنان، متوقفا عند محطات (بيروت، صور، طرابلس الشرق)، وقدم تعريفا وافيا عن كل تلك المحطات، من ماضيها إلى حاضرها، مستعرضا أهم المعالم، من جامعات، ومتاحف، ومزارات سياحية، وعلى ذلك المنوال سار الكاتب في وقفاته عند بقية المدن التي تناولها الكتاب، ثم ينتقل الكاتب إلى عمان عاصمة المملكة الأردنية، ومنها إلى بانكوك عاصمة مملكة تايلاند، وينتقل إلى بلاد الهند، ويستعرض في الفصل الخاص بالهند ذكريات ابن بطوطة في الهند، ثم المدن الأفريقية وبداية من (القاهرة) كبرى مدن العالم العربي،

(١) سيزا قاسم– بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ– ط ٢– مكتبة الأسرة، القاهرة – ٢٠٠٤م– ص١٠٣.

ومن (القاهرة) إلى أقصى شرق أفريقيا (زنجبار) ثم إلى المملكة المغربية، (الدار البيضاء، الرباط، مراكش، الصويرة)، بعدها يأخذ الكاتب قرّاءه إلى القارة الأوروبية تحديدا العاصمة الفرنسية باريس ثم إلى لشبونة عاصمة البرتغال، ثم إلى أميركا الشمالية، في زيارة إلى مدينتي أتلانتا وشيكاغو.. فالقارئ لكتاب «مدائن الريح» يجده أشبه بموسوعة ثقافية عالمية مصغرة.

ومن المستحيل أن يرد المكان منفصلا عن الوصف فيكون كما وصفه عبد الملك مرتاض: "كالعاري فالوصف هو الذي يعطي للمكان نكهة تخصصه وتعطيه مكانة امتازية بين المكونات السردية"(١)، فإذا كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكي فإن الوصف يشكل أداة تشكل المكان(٢).

وفي سرد المسلم للأمكنة يعتمد بشكل لافت على الوصف الدقيق، فيذكر تفاصيل المدن التي زارها، يقول مثلا عن العاصمة (عمّان): "تقع عمّان في وسط البلاد على سيف الصحراء فوق جبال صغيرة متقاربة، يبلغ عددها حوالي أربعة عشر جبلا، ويمر بها الخط الحديدي الحجازي الذي يربطها بسوريا شمال وبعمان فالسعودية جنوبا، والطريق الصحراوي الذي يربطها بسوريا شمالا وبالسعودية والعراق شرقا، والسعودية عن طريق عمان فتبوك إلى الطائف والمدينة المنورة ومكة"(٣).

كما يحرص الكاتب في وصفه للأمكنة أن يتحدث عن معالمها الحضارية والتاريخية على مر العصور، فتصبح هذه المكنة "لا كشهادة وثائقية بل كأنشودة

(١) عبد الملك مرتاض– في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد–ط١– المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت– ١٩٩٨م– ص١٨٧.

(٢) حميد الحميداني–بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي– ط٣– المركز الثقافي العربي– ٢٠٠٠م– ص٨٠.

(٣) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٣٦.

إنسانية تمجد عظمة الإنسان وعظمة مغامرته الحضارية الإنسانية"[١]، فمثلا يقول عن أحياء القاهرة: "القاهرة مليئة بمئات الآثار والأماكن التراثية والمعالم التاريخية، وكل حي في القاهرة يمثل مرحلة تاريخية، فحي الأزبكية حي الأرستقراطية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وحي بولاق الذي يمثل البطولة والمقاومة أيام نابليون، ووسط القاهرة حي المظاهرات أيام الاحتلال الإنجليزي... كذلك يوجد فيها العديد من الأسواق ودور السينما والنوادي والفنادق الكبرى، وغيرها من الأماكن التي تقدم كل أنواع المتعة والفن"[٢].

إن ورود الأمكنة وكثافتها في النص الرحلي يخلق فضاء واقعيا للرحلة، كما أعطى الكاتب بهذا الوصف للمدن والأماكن حقيقة تجعل القارئ يقوم بعملية قياس منطقي، فما دامت هذه المدن والأماكن حقيقة متمثلة على أرض الواقع، فإن الأحداث التي ذكرها الكاتب أيضا حقيقية، فالمكان يعبر عن الفئات الاجتماعية ومستوياتها وظواهرها الحضارية المختلفة من خلال أبعاده الدلالية العميقة التي تتلاقى وتتفاعل وتتمازج مع الأحداث والأشخاص[٣].

الغرائبي والعجائبي:

إن الإنسان بشكل عام يألف عالمه الطبيعي الذي يعيش فيه، فإذا انتقل إلى عالم آخر عن عالمه فقد اغترب، إذ إن أساس الغرابة ومحركها التنقل والترحال بين عالمين؛ الأول مألوف، والثاني غريب. لذا لا عجب أن عنصر الغرابة حاضر في الرحلات، فعندما ينوي الرحالة الرحلة يعني" أنّه انتقل من فضائه المألوف إلى فضاء غريب... ولو

(١) أحمد طالب– جماليات المكان في القصة الجزائرية القصيرة– دار الغرب للنشر والتوزيع– ٢٠٠٥م– ص٢١.

(٢) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق – ص٩٤، ٩٥.

(٣) حاج علي فاضل– سيميائية الفضاء السردي في رواية فوضى الحواس لحلام مستغانمي– دراسات جزائرية– منشورات دار الأديب– ع٥١٤– ٢٠٠٧م– ص٩١

بقي في الفضاء الأول لما كانت هناك حكاية، إذ الشرط الأساسيّ للحكاية هو الانتقال، أي اجتياز العتبة الفاصلة بين فضاءين"[١].

وإذا طالعنا رحلات عبد العزيز المسلم في مدائن الريح وجدنا الغرابة والدهشة تنتشران بين حناياها، هنا وهناك؛ حيث يسجل غرابته من ثقافة الأمكنة التي يزورها، يقول عن أحد المعابد في بنغلور: "أما معبد السيد جافل جانغاد هرسوارا فهو مكان مشهور أيضا في بنغلور وهو يبرز تفوقا فنيا كبيرا في هندسته المعمارية، أما الموعد الحاسم لروعة المشاهدة لرؤية المعبد فهو الرابع عشر من يناير من كل عام عندما تمر حزمة أشعة الشمس خلال فتحة بين قرون الثور الحجري خارج المعبد وتصل حزمة الأنوار حتى الوثن داخل المعبد"[٢].

كما يتحدث عن الرقصات الشعبية في مدينة ميسور ومشاركة الحيوانات فيها، مبديا إعجابه بها: "أما أقصى درجات الذروة فتكون في داسار الأسطورية، حيث الفيلة المكسوة بالأزياء المزركشة والقلائد المزخرفة والعربات الفضية والذهبية، وهي تقدم العروض الموروثة والأغاني والرقصات في مشهد فريد لا يمكن أن ينسى"[٣]. ويبدو أن مدن الهند بشكل عام قد أثارت دهشة الكاتب منها أيضا (دلهي)، يقول: "في دلهي كل شيء فريد ومدهش فمنذ أن تصل إلى مطار أنديرا غاندي الدولي الذي يوجد في أطراف العاصمة تبدأ في رحلة دهشة، تشاهد سيارات الفيات عتيقة الطراز وعربات (الركشة) ذات العجلات الثلاث وقد ركبت عليها كبائن تسع بالكاد شخصين أو ثلاثة، وبائعي قلائد الياسمين الهندي البرتقالي عند كل مفرق..."[٤]، ثم يمضي في تصوير استغرابه من حياة الناس في الهند: "فالهند بلد العجائب والتناقضات فهي إحدى الدول العشر الأكثر تقدما

(١) عبد الفتاح كليطو– الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي– ط٤– دار توبقال، الدار البيضاء– ٢٠٠٧م– ص١٠٩.

(٢) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٥٣

(٣) المصدر نفسه– ص٦٠.

(٤) المصدر نفسه– ص٨١، ٨٢.

علميا على مستوى العالم. وإلى جانب هذه الأكشاك محلات تعرض أحدث ما تعرضه لندن وباريس ونيويورك وروما... وهناك أيضا المكتبات حيث كثير من السياح يبحثون وسط أكوام من الكتب الموضوعة على الأرض لينتقوا منها، بأرخص الأسعار"(١).

تتجلّى المفارقة بين الألفة والغرابة في النماذج السابقة، فهو ليس ابن البيئة التي شاهد فيها المعابد ورقص الحيوانات وتزيينها في الاحتفالات وكذلك بعض الأحوال المعيشية في المدن ... بل غريب عنها، فراعته وهالته وأثارت غرابته لدرجة أنه قدم ذلكم المشهد لقارئه.

مثلما وجدنا عنصر الغرابة في نص الرحلة، فإنه لا يخلو من أن يتضمّن، وإن بدرجة أقل بين الحين والآخر، عنصر العجائبي، الذي عرفه تودوروف بأنه: "التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية فيما يواجه حدثًا فوق طبيعي، فحسب الظاهرة، لا يدوم العجائبي إلا في زمن التردد"(٢).

كما يرى كمال أبو ديب أن: "العجائبي بؤرة الخيال الخلاق الذي يجمع كل ما هو مخترقًا حدود المعقول والمنطقي والتاريخي والواقعي، مخضعًا كل ما في الوجود من الطبيعي إلى الماورائي لقوة واحدة فقط هي قوة خيال المبدع"(٣). وقد تضمنت معظم الرحلات الأدبية الكثير من العجائبي، مثل رحلة ابن بطوطة التي حفلت بالكثير التي منحت خطابها السردي جمالا وتشويقا.

وقد جاء العجائبي في رحلة عبد العزيز المسلم ضمن (السرد داخل السرد)؛ فلم يحك الكاتب أنه شهد ذلك، وإنما يورده من الحكايات التي سمعها، موظفا أسلوبا سرديا مشوقا؛ لأنه يداخل بين السرد الواقعي والعجائبي حتى تختلط على القارئ أصوات السرد؛

---

(١) المصدر نفسه– ص٨٢، ٨٣.

(٢) تزفتان تودوروف: مدخل إلى الأدب العجائبي–ترجمة: الصديق أبو علام– ط١– دار الكلام، الرباط، المغرب– ١٩٩٣م – ص٥٠.

(٣) كمال أبو ديب–الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي– ط١– دار الساقي، بيروت– ٢٠٠٧م– ص٨.

فالانتقال من صوت الراوي/المؤلف إلى صوت سارد الحكاية العجائبية يتم ببراعة وسهولة، ومن تلك السرديات العجائبية حكاية ابن بطوطة عن (أرض الرعب) في الهند، والتي تزعم كتب التاريخ أن أهلها تمادوا في الفسق والفجور، فحلت عليهم لعنة الله، ومسخوا على هيئة حجارة، يقول الكاتب: "ذات يوم خرج ابن بطوطة مع (العادل علاء الملك الخرساني)، قاضي (مدينة هراة)[١] في جولة بالبلاد وانتهيا إلى أرض فضاء شاسعة... تعرف باسم (بتارنا)[٢] فرأى (ابن بطوطة)، بتلك الأرض أكواما مهولة من الحجارة كانت على هيئة أجسام الآدميين والبهائم، وكان بعضها غير مكتمل الهيئة فتبقى منها صورة رأس أو رجل أو سواهما... وفي أحد أطراف هذه الأرض وجد (ابن بطوطة) بيتا من حجارة منحوتة في وسطه تمثال من حجر واحد لآدمي إلا أن رأسه طويل، وفمه في جانب من وجهه، ويديه خلف ظهره كالمكتوف وإلى جواره مياه شديدة التعفن. وظهر على جدران المكان كتابة بلغة الهنود"[٣].

تتمثل عناصر العجائبي في النص السابق في أمرين؛ الأول: أكوام من الحجارة على هئية بشر وحيوانات، بعضها غير مكتمل الجسد. والثاني: تمثال آدمي ممسوخ الهيئة. هذه العجائبية تربك القارئ عندما يسردها الراوي/ المؤلف عن راوٍ آخر بمقام ابن بطوطة؛ وأنّ هذا الراوي قد شهد الحدث بنفسه، ولم يروه عن غيره بوصفه حكاية، ومما يزيد من حيرة القارئ وتردده أن الراواي/ المؤلف/ الحقيقي للرحلة رأى آثار هذا المدينة، ووصفها. هذا السرد يحمل من العحائبي ما يخلط الحقيقي بالأسطوري، والواقعي بالاحتمالي، فكون هذا المدينة موجودة حقيقة في الهند؛ وتحول أهلها وملكها إلى حجارة ممسوخة أمر يصعب تصديقه، كما أن المتلقي يتردد في تكذيبه؛ لوجود التماثيل

(١) هراة وهرات، واسمها التاريخي آرية، هي مدينة أفغانية في محافظة هراة الأفغانية تقع غربي أفغانستان يمر بها نهر هريرود والذي يتدفق من وسط البلد.

(٢) بتارنا أو باتنا أو بتنه: مدينة هندية، وهي عاصمة إقليم بيهار الهندي الواقع إلى الغرب من شبه القارة الهندية، وتعد بتنا من أقدم الأماكن الأثرية في العالم.

(٣) عبد العزيز المسلم– مدائن الريح– مصدر سابق– ص٤٩، ٥٠.

والكتابات الهندية على حوائط المكان شاهدة على هلاكهم وعذابهم منذ أكثر من ألف سنة. إن هذا النوع من السرد منح رحلة عبد العزيز المسلم قيمة أدبية تضعها في مقام السرد الحديث من حيث الإبداع.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- **إن مفهوم الرحلة يعني الانتقال والتحول من مكان إلى آخر**، ولا يوجد فرق كبير بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي. لكننا بعد النظر في التعريفات اللغوية والاصطلاحية لأدب الرحلة، والوقوف على أبرز خصائصه، والتطبيق على رحلات عبد العزيز المسلم يمكننا أن نحدد تعريفا لأدب الرحلة بأنه: نوع أدبي نثري، يقوم على التنقل الداخلي بين بقاع الوطن الفريدة للدعاية إليها، والإعلان عنها، أو السفر الخارجي الراصد لبلاد العالم المختلفة، بغية التعرف عليها، والتعريف بها جغرافيا وتاريخيا وواقعيا، بلغة سهلة المعجم، سلسة التعبير، غايتها الإخبار، والوصف والتصوير، والإدهاش.
- **الرحلة ظاهرة حياتية عاشها المجتمع الإنساني** منذ القدم؛ لأسباب ودوافع متعددة: اجتماعية، اقتصادية، سياسية، دينية... ولكل رحالة طريقته في كتابة رحلته؛ فهناك من يكمل كتابتها أثناء الرحلة، والبعض يكتبها بعد عودته، وهناك من يكتبها على شكل مذكرات.
- **الكاتب عبد العزيز المسلم** حين يسرد رحلته يستعيد تجربته الماضية، باسترجاع مسار الرحلة وكل التفاصيل الراسخة في ذاكرته، معتمدا على المعاينة والمشاهدة والرصد، موثقا بعض المعلومات من الكتب المصنفة، وقد تميزت رحلاته باعتمادها على الوصف؛ حيث إن الرحلة انتقال لاكتشاف معارف جديدة، ثم تتوالى في وصفه تقنيات السرد المتنوعة.
- **الذات المركزية في هذا النص الرحلي** انقسمت إلى قسمين: الراوي المبئر (وقد ورد بصيغة ضمير الغائب)، والراوي الشخصية المسيطر على النص (وجاء بصيغة المتكلم – المفرد والجمع)، كما تنوعت مخاطبات السارد/الرحالة بحسب الوظيفة؛ فهناك المخاطبات التعليمية –وهي الأكثر

حضورا–، والتواصلية، وأخيرا الإيديولوجية، ولكل منها وظيفة محددة في النص.

- **أجاد الكاتب في أسلوب سرد المكونات الأساسية في الرحلات؛** فحين يسرد زمن الأحداث دفعته الحاجة إلى استعمال الاسترجاع. أما من حيث المدة الزمنية (الحركات السردية) يعتمد الرحالة على الخلاصة والحذف؛ لتسريع الأحداث وتجنب ما هو ثانوي لا يسهم في السياق السردي، ويميل كثيرا إلى استعمال الوقفة الوصفية؛ لتعطيل الأحداث؛ تحديدا عند وصف الأمكنة؛ ليقدم للقارئ صورة فوتوغرافية دقيقة عنها.
- **احتل عنصر المكان مساحة واسعة من الرحلة،** ابتداء من عتبة العنوان، ثم توالي ذكر المدن وتصنيفها بحسب القارات، ويشكل المكان العمراني هيكل الرحلة عند عبد العزيز المسلم، في كل مدينة يركز على الأماكن ذات الأهمية الاعتبارية: أماكن مقدسة ودور عبادة، جامعات، متاحف، أسواق، أحياء سكنية... التي تحظى من الكاتب بوصف تفصيلي دقيق.
- **إن النص الرحلي يزخر بالتسجيل الوصفي والحكائي،** وينقل الكثير من المعلومات، ودراسته في ضوء المناهج النقدية الجادة تخرج مكنوناته، وتبرز خصوصيته بالنسبة للأنواع الأدبية بشكل عام، وتبين فرادته التي لا يشاركه فيها نص رحلي آخر بشكل خاص، ومن نتائج قراءة هذا النموذج الأدبي قراءة تحليلية بنيوية، أنه قدم لنا خصيصة طريفة عن أدب الرحلة الإماراتي، وهو أنه يمكن أن يندرج أو يؤسس لما تسميه الباحثة (الأدب السياحي)؛ فهذا النص الأدبي يدل على ترقي الشخصية الإماراتية، وتساميها في تعاملها مع الآخر خارجيا عبر رحلات أهلها إلى أقطار العالم الخارجي في قاراته المختلفة، وتشوقها إلى متابعة كل غريب وعجيب ومثير في العالم. ومن أهم خصائص الأدب الرحلي الإماراتي أنه أدب مقدر للمكان الآخر، وللإنسان الآخر، ومقبل عليهما، وليس منتقدا ولا منتقصا ولا مستعليا.

توصيات:

- **تقترح الباحثة جمع المادة العلمية للأدب الرحلي الإماراتي**، بحيث يكون مصدرا لرسالة جامعية متخصصة أو أكثر؛ وذلك لدراستها تاريخيا واجتماعيا وثقافيا، وأسلوبيا... إلخ.
- كما تقترح الباحثة على مؤسسات الثقافة بالإمارات أن تشرف على **كتاب تأريخي تسجيلي توثيقي، وتحليلي لأدب الرحلة الإماراتي المعاصر**.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

القرآن الكريم.

- **عبد العزيز المسلم:** مدائن الريح: رحلات في العالم– ط١– دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة– ٢٠١١م.

ثانيا المراجع:

- **أحمد أبو سعيد:** أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي– ط١– منشورات دار الشرق الجديد، بيروت– ١٩٦١م.
- **أحمد طالب:** جماليات المكان في القصة الجزائرية القصيرة– دار الغرب للنشر والتوزيع– ٢٠٠٥م.
- **أغناطيوس يوليا نوقتش كراتشكوفسكي:** تاريخ الأدب الجغرافي– ترجمة: صلاح الدين هاشم– مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة–١٩٦٣م.
- **إنجيل بطرس:** الرحلات في الأدب الإنجليزي– مجلة الهلال، مصر– العدد ٧– ١٩٧٥م.
- **بلال حورية وبلال سعيدة:** الخصائص الفنية في تصميم مشاهد الرحلة وأزمنتها "رحلاتي لبلاد السافانا الحاج أحمد الصديق أنموذجاً"– بحث ماجستير– جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر– ٢٠٢٠م/٢٠٢١م.
- **تزفتان تودوروف:** مدخل إلى الأدب العجائبي–ترجمة: الصديق أبو علام– ط١– دار الكلام، الرباط، المغرب– ١٩٩٣م.
- **جليلة الطريطير:** في شعرية الفاتحة النصية "حنا مينا نموذجا"– علامات– م ٧ –ج ٢٩ – ١٩٩٨م.
- **جيرالد برنس:** المصطلح السردي– ترجمة،: عابد خزندر– ط ٢– المجلس العلى للثقافة، القاهرة– ٢٠٠٣م.

- **حاج علي فاضل:** سيميائية الفضاء السردي في رواية فوضى الحواس لحلام مستغانمي– دراسات جزائرية– منشورات دار الأديب– ع٥١٤– ٢٠٠٧م.
- **حميد الحميداني:** بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي– ط٣– المركز الثقافي العربي– ٢٠٠٠م.
- **خير الدين الزركلي:** الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين– ج٨– ط١٤– دار العلم للملايين، بيروت– ١٩٩٩م.
- **ركان الصفدي:** الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري–ط٢– الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق– ٢٠١١م.
- **سعيد يقطين:** السرد العربي: مفاهيم وتجليات– ط١– دار العلوم ناشرون، بيروت– ٢٠١٢م.
- **سيزا قاسم:** بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ– ط ٢– مكتبة الأسرة، القاهرة – ٢٠٠٤م.
- **عبد الرحيم مودن:** الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد– ط١– دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية – ٢٠٠٦م.
- **عبد الفتاح كليطو:** الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي– ط٤– دار توبقال، الدار البيضاء– ٢٠٠٧م.
- **عبد الله بن أحمد بن آل حمادي:** أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية– بحث ماجستير– جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، السعودية – ١٩٩٧م.
- **عبد الملك مرتاض:** في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد–ط١– المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت– ١٩٩٨م.
- **علي أحمد العبيدي:** العنوان في قصص وجدان خشاب "دراسات سيميائية" – مجلة دراسات موصلية، العراق– ع ٢٣ – ٢٠٠٩م.
- **علي الفرج:** تكوين البلاغة، قراءة جديدة ومنهج مقترح– ط١– دار المصطفى لإحياء التراث، إيران– د.ت.

- **ابن فارس:** معجم مقاييس اللغة– تحقيق: عبد السلام هارون– ج٢– ط١– دار الجيل، بيروت–١٤١١هـ –١٩٩١م.
- **الفيروز آبادي:** القاموس المحيط –ج٢– دار الجيل.
- **كمال أبو ديب:** الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي– ط١– دار الساقي، بيروت– ٢٠٠٧م.
- **مجدي وهبة وكامل المهندس:** معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب– ط٢– مكتبة لبنان، بيروت– ١٩٨٤م.
- **محمد بوعزة:** تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم– ط ٢– الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت– ٢٠٢٠م.
- **محمد القاضي وآخرون:** معجم السرديات– ط١– دار محمد علي، تونس– ٢٠١٠م.
- **ابن منظور:** لسان العرب– المحققون: عبد الله علي الكبير وآخرون– دار المعارف، القاهرة.
- **نزار قباني:** الأعمال السياسية الكاملة– ج٢– منشورات نزار قباني، بيروت.
- **والتر أونج:** الشفاهية والكتابية– ترجمة: حسن عز الدين– مجلة عالم المعرفة، الكويت– العدد ١٨٢– ١٩٩٤م.

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضوع	الصفحة
١-	**المقـدمــة** :.....	٧٤٨
٢-	**مدخل: مفهوم أدب الرحلة وخصائصه** :.....	٧٥١
٣-	**حول الكاتب ورحلته** :.....	٧٥٥
٤-	**الذات المركزية لنص الرحلة** :.....	٧٦٠
٥-	الراوي (المُبَئِّرُ) :.....	٧٦٠
٦-	الراوي (الشخصية) :.....	٧٦١
٧-	**أنواع مخاطبات السارد من حيث الوظيفة** :.....	٧٦٤
٨-	وظائف تعليمية :.....	٧٦٤
٩-	وظائف اتصالية :.....	٧٦٦
١٠-	وظائف إيديولوجية :.....	٧٦٧
١١-	**سرد الزمان** :.....	٧٦٨
١٢-	**سرد المكان** :.....	٧٧٣
١٣-	**الغرائبي والعجائبي** :.....	٧٧٥
١٤-	**الخاتمة** :.....	٧٨٠
١٥-	**المصادر والمراجع** :.....	٧٨٣
١٦-	**الموضوعات** :.....	٧٨٦